

تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على دراسة الإسلام (قراءة جديدة محمد أركون لسورة التوبة)

بقلم: توفيق الهادي

taufiquilhadi04@gmail.com

(المدرس في علم المقاصد الشريعة الإسلامية بالجامعة نهضة العلماء للعلوم الشرعية الأتجيه)

ملخص:

هذه المقالة تحاول أن تبحث عن تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على دراسة الإسلام من خلال قراءة محمد أركون لسورة التوبة. ومن المعلوم قد اقترح أركون على استخدام مقارنة العلوم الإنسانية والاجتماعية من الغرب في الدراسة الإسلامية أو ما يسماه بالإسلاميات التطبيقية، من أجل فهم وتحليل بناء العلمي وفكر الديني. وقراءة أركون لسورة التوبة ليست من جنس قراءة أو تفسير آية من أول السورة إلى آخرها. بل هي "قراءة جزئية كلية"، تأخذ آية واحدة من سورة التوبة، وهي آية السيف، فتقارب ضوءها كل السورة. واستنتاج الباحث في هذه المقالة أن قراءة أركون لسورة التوبة تتم في ضوء العناصر الألسنية والسميائية، والتاريخية، والاجتماعية. **الكلمات المفتاحية:** التاريخية، الاجتماعية، الإسلاميات التطبيقية، الألسنية، السميائية، توبة، قراءة، علوم الإنسان والمجتمع.

المقدمة

أن الإنسان مخلوق إجتماعي ولا يستطيع له العيش السليم فردا، بل يحتاج إلى بناء علاقات والتواصل ويعيش مع الغير في ضوء مجموعة، سواء ماثله في الجنس أو خالفه وسواء علم بوجوده أو لم يعلم بذلك. وتنحصر في تحديد علاقة الذات بالغير مع بيان أسس تلك العلاقة،

ليتحقق العيش في سلم وأمان. والقرآن هو الكتاب الرئيسي في الإسلام، ويعظمه المسلمون ويؤمنون بأنه كلام الله المنزل على نبيه محمد للبيان والإعجاز. ويحتوي القرآن على العديد من المواضيع الرئيسية، ومنها ما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الغير.

وفي بيان هذه العلاقة، جاء محمد أركون¹ يحدد تلك العلاقة في ضوء سورة التوبة بالمقاربة الأدبية وعلوم الإنسانية. ومن المعلوم قد اقترح أركون إلى تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على دراسة الإسلام أو ما يسمى أركون بمصطلح الإسلاميات التطبيقية، وهي الممارسة العلمية بتعدد التخصصات.² ويستخدم هذا النموذج في إطار العلوم الإنسانية التي تشمل الألسنيات، ونقد التاريخي، وعلم النفس، وعلم الاجتماع. وعمل أركون إلى التفكيك التحليلي النص، وفي رأيه إن النصوص المقدس والتراث الإسلامي لا يمكن التخلص من العناصر التاريخية.³ ويريد أركون احلال الإسلاميات التطبيقية محل الإسلاميات الكلاسيكية، وأن

¹ يعد محمد أركون أحد أهم المفكرين المعاصرين الذين ينتمون في أصولهم إلى الوسط العربي الإسلامي. ولد محمد أركون في بلدة توريرة ميمون بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر على 1 فبراير 1928، وبعد الإنتهاء من المدرسة الابتدائية، ثم انتقل أركون إلى المدرسة الثانوية في مدينة هران، وهي مدينة الرئيسية في غرب الجزائر. منذ عام 1950 حتى 1954 درس اللغة العربية وأدبها في الجامعة الجزائر. 1954-1962 كان طالبا في باريس، وعام 1961 أصبح محاضرا في جامعة السوربون، وحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب عام 1969. وكان يدرس أيضا في جامعة ليون وأصبح أستاذا لتاريخ الفكر الإسلامي. وفي إندونيسيا، وفقا يوهان موليمان، قدم فكرة أركون أول مرة من قبل محمد ناصر تمارا، كموضوع للمناقشة في مؤسسة Empati وبعد ذلك لمقال بمجلة علوم القرآن في عام 1989. ومن مؤلفات محمد أركون: تاريخية الفكر الإسلامي، الفكر الإسلامي؛ قراءة علمية، الفكر العربي، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال : أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل. وأكثر كتب محمد أركون مترجم باللغة العربية من قبل تلميذه، وهو هاشم صالح. وبالإضافة إلى ذلك، هناك عديد الكتب التي كتبه باللغة الفرنسية والهولندية والإنجليزية. راجع إلى <http://www.ibn-rushd.org/arabic/CV-Arkoun.htm>

Lihat juga Faturrahman Muhtar, *Pemikiran Islam Kontemporer Mohammad Arkoun*, Jurnal Islamica, Vol. 2, 2007, hal. 46-54.

² Mohammed Arkoun, *Nalar Islami dan Nalar Modern; Berbagai Tantangan dan Jalan Baru*, terj. Johan Meuleman, (Jakarta: INIS, 1994), hal. 120.

³ Kholili Hasib, *Studi Agama Model Islamologi Terapan Mohammed Arkoun*, Jurnal Tsaqafah, Vol. 10, 2014, hal. 311.

الإسلاميات التطبيقية تتميز بطابعها العملي أو التطبيقي، وليس النظري أو التجريدي في دراسة موضوعها.⁴

ويقول محمد أركون: إذا أردنا تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على ما يدعو المستشرقين بالإسلاميات، فإن الصعوبات والمقاومات تبدو هنا أكبر منها يخص الإسلام كثقافة وحضارة.⁵ يري محمد أمين عبدالله إلى أن الفكر الديني لمحمد أركون يمكن أن يصنفيه إلى تيار المنهجية التاريخية، وهي من أشكال التحليل العلمي الديني الذين يشعرون بالقلق من التدخل البشري وهو بصفة التاريخية والاجتماعية (socio-historical) في إعداد المنهج الديني.⁶ وفي هذه المقالة ننظر كيف حدد أركون في تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على دراسة الإسلام من خلال قراءة سورة التوبة. ولكن قبل ندخل إلى هذا الحوار، سنتكلم أولاً عن خطاب العلمي في تطبيق العلوم الإنسانية على دراسة الإسلام عند محمد أركون.

خطاب العلمي في تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على دراسة الإسلام

يحاول محمد أركون لفتح المعارف الجديدة للمسلمين من خلال دراسة النقدية لتراث الفكر الإسلامي، وأثار عمله باهتمام واسع النطاق ومجموعة متنوعة من ترحيب. واقترح أركون على استخدام مقاربة العلوم الإنسانية والاجتماعية من الغرب في الدراسة الإسلامية، من أجل فهم

⁴ فان الإسلاميات التطبيقية تختلف جذرياً عن الإسلاميات الكلاسيكية، ويقول هاشم صالح، أن هدف الإسلاميات الكلاسيكية هو تقديم معلومات دقيقة ووصفية عن الإسلام إلى الجمهور الغربي الذي لا يعرف عنه شيئاً، وهي لا تنخرط في دراسة نقدية مقارنة تضع الإسلام على قدم المساواة مع المسيحية واليهودية. أما هدف الإسلاميات التطبيقية أي منهجية أركون يريد أن يدرس الإسلام من خلال الدخول في مواجهة صراعية مع تراث طويل من التقليد التبجيلي والجدالي الذي ميز موقف الإسلام من الأديان الأخرى، ويعتبر الإسلاميات التطبيقية كفعالية علمية متضامنة مع كل فكر المعاصر ولذا فهو يدرس مثال الإسلام كما يدرس غيره مثال اليهودية والمسيحية والبوذية... إلخ، أي ضمن منظور الإسهام في أغناء الأنثروبولوجيا الدينية. راجع إلى هاشم صالح، مدخل إلى فكر محمد أركون نحو أركيولوجيا للفكر الإسلامي؛ منهجيات علوم الإنسان والمجتمع والمصطلحات مطبقة على دراسة الإسلام.

مدخل-إلى-فكر-محمد-أركون-نحو-أركيولوجيا/ <http://www.nizwa.com/> accessed on 8 August 2018

⁵ محمد أركون، الفكر الإسلامي؛ قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، (بيروت: مركز الانماء القومي، 1996)، ص 88.

⁶ Lihat Amin Abdullah dalam Johan Meuleman, *Tradisi, Kemodernan dan Metamodernisme; Memperbincangkan Pemikiran Mohammed Arkoun*, (Yogyakarta: LKiS, 1996), hal. 3.

وتحليل بناء العلمي وفكر الديني. ونلاحظ أن بعضهم يتحدث عن "العلوم الإنسانية"، ولكن تسميته بالأكمل هي علوم الإنسان والمجتمع لأن المقصود ليس فقط دراسة الفرد أو الإنسان مستقلاً بحد ذاته، وإنما دراسة الفرد في المجتمع أي دراسة بنية المجتمع وآليته ووظائفه. وهذه الدراسة أصبحت شهيرة في ثلاثين سنة الأخيرة، بل أصبحت تشكيل المنهجية السائدة في بيئات البحث العلمي. فمنهجيات علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الأنثروبولوجيا، وعلم التاريخ، وعلم اللغات (الأسنات)، إلخ تتضافر كلها من أجل فهم الإنسان والمجتمع.⁷

إن الفكرة الأساسية في التفكير الأسنات لى أركون هي خصوصيات اللغة، وإن البحث في هذه الخصوصية ينطلق من مسلمة أساسية، مفادها قدرة هذه اللغة على تحويل الآني والتاريخي والنسبي إلى (المطلق) و(المتعالي) و(الأزلي). وهذه القدرة تحتاج من الباحث إلى تحليل آليات تلك اللغة التي تمكنها من إحداث هذا التحول.⁸ وفي هذا السياق يؤكد أركون أن الخطاب القرآني مختلف عن كل خطاب آخر في اللغة العربية، وأن هذا الاختلاف ليس تابعاً من فكرة التفوق الأدبي الذي ركزت عليه نظرية الإعجاز، بل من المعطيات الشكلية والنحوية، والمعنوية والبلاغية والأسلوبية والإبقاعية الخاصة بالقرآن، والتي يمكن حصرها والكشف عنها عملياً. إن المجاز يلعب دوراً حاسماً في تشكيل كلية الخطاب القرآني.⁹

لقد اختار أركون مفهوم (المقاربة الأدبية) للتعبير عن طبيعة قراءته للقرآن وتتلخص هذه المقاربة خطياً على النحو التالي: (لا تشكل المقاربة اللفظية المعجمية إلا اللحظة الأولى للتحليل اللغوي والأسنات الذي ينبغي أن يؤدي بدوره إلى التحليل الأدبي). ويؤكد أن أية مقاربة أدبية للقرآن ينبغي أن تبتدئ باستعادة نقدية للأدبيات التي دارت حول الإعجاز.¹⁰ وكذلك يحاول

⁷ هاشم صالح، مدخل إلى فكر محمد أركون نحو أركيولوجيا للفكر الإسلامي.

⁸ نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005)، ص 117.

⁹ عمر حسن القيام، أدبية النص القرآني؛ بحث في نظرية التفسير، (بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011)، ص

125.

¹⁰ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 198.

أركون لدراسة النصوص أو المخطوطات الإسلامي الكلاسيكي، سواء في مسائل الفقهية، وعلم الكلام، والتصوف، والأخلاق، بالأمل الحصول على صورة واضحة عن العناصر والعوامل التاريخية التي تؤثر في تصنيف المخطوطات من قبل العلماء السابق.¹¹

ولمحاولته إلى تطبيق هذا العلوم، يرى أركون إلى تدريب الناس على علوم الإنسان والمجتمع بواسطة الأمثلة العلمية ودون الإلحاح كثيرا على المقدمات النظرية والمنهجية يؤدي إلى نتائج أكثر تشجيعا، ولكن بشرط واحد هو أن يمارسواهم بأنفسهم التمرينات نفسها ويضاعفوا من الأمثلة. وهذه العلوم ليست إلا جوابا ملائما لحاجيات المعرفة الناتجة عن العمران والتصنيع السريع الذي شهدته المجتمعات الغربية، كما أنها بصفتها ممارسة ذهنية وفكرية تتضاف إلى كل المكتسبات والفتوحات المتتالية في الغرب.¹²

إذن النقطة الأساسية من الفكر محمد أركون فهي التفكيك التحليلي النص، ويعتبر عن هيكل وبناء العلمي الديني كمنتج التاريخ التي تنطبق على قطعة معينة من الزمان والمكان. ومن خلال علوم الإنسان والمجتمع، قد حاول أركون إلى إعادة النظر لبناء إيبستيمولوجيا من العلوم الدينية الإسلامية بالدراسة النصوص أو المخطوطات لحصول على العناصر التاريخية المختلفة في المؤسسة العلمية. وانتقادات إيبستيمولوجيا بهذا الشكل مهم جدا كإطار فلسفة العلوم الإسلامية. وأراد أركون إستعادة الخطاب الديني الإسلامي في الخطاب الأساسي بتحليل القيم المعيارية، والروحية، والأخلاقية، دون أن تكون مثقلة بالأيديولوجية السياسية وهي التاريخية التجريبية.¹³

ويريد أركون للفكر الإسلامي ألا يظل متخلفا عن الفكر المسيحي الغربي، وهكذا يضع أركون القرآن الكريم على محك النقد التاريخي والمقارن، ثم على محك التحليل الألسني التفكيكي

¹¹ Amin Abdullah dalam Johan Meuleman, *Tradisi, Kemodernan dan Metamodernisme...*, hal. 13. Bandingkan dengan Siti Rohmah Soekarba, *The Critique of Arab Thought: Mohammed Arkoun's Deconstruction Methode*, Sosial Humaniora, Vol. 10, 2006, hal. 81.

¹² محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 90.

¹³ راجع إلى محمد أركون، تريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1986)، ص

والتأمل الفلسفي الذي يركز دراسته على انتاج المعنى ولشروط انتشاره وتحولاته وانهداماته، فالمعنى ليس ابديا ولا ازليا وانما هو ينفك وينحل مثلما يتركب ويتشكل انه يتفكك بعد ان تكون الجماعة قد عاشت عليه فترة معينة من الزمن وعن طريق هذه الاضاءة الجديدة للقرآن الكريم، ويريد اركون ان يتوصل الى تجديد الفكر الديني بالمعنى الاوسع للكلمة وليس فقط الفكر الديني في الاسلام، انه يريد تجديد فهمنا للظاهرة الدينية عن طريق تطبيق المنهجيات الحديثة على دراسة الاسلام مثلما طبقها المفكرون الاوروبيون على دراسة المسيحية واليهودية¹⁴.

قراءة جديدة محمد أركون لسورة التوبة

وقد عرض أركون في مقاله (تطبيق علوم الإنسان والمجتمع على دراسة الإسلام) بقراءة سورة التوبة كالمثال، وتركيز محمد أركون على سورة التوبة يرجع إلى لهجتها والموضوعات التي تطرقت إليها والجدل المباشر مع عرب الصحراء وأهل الكتاب والمنافقين، وأحكامها القاطعة التي لا تقبل الرجوع والمراجعة، ودعواتها للجهاد، فضلا عن نوعية المواضيع وحده الأحكام التي لا تعالجها بصفة عامة.¹⁵ وإن قراءة أركون لسورة التوبة ليست من جنس قراءة أو تفسير آية آية، من أول السورة إلى آخرها، كما في منهجية التفسير الموروث، بل هي "قراءة جزئية كلية"، تأخذ آية واحدة من سورة التوبة، وهي آية السيف، فتقارب ضوئها كل السورة. والمقصود بآية السيف هي آية الخامسة من سورة التوبة، ويقول الله تعالى:

"فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُوا دُونَ لَهُمْ كَلِمَ صِدْقٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

¹⁴ هاشم صالح، مدخل إلى فكر محمد أركون نحو أركيولوجيا للفكر الإسلامي.

¹⁵ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 90.

ومن هذه الآية، يرى أركون نستطيع أن نفهم بسهولة لماذا أن هذه الآية تخرج المسلمين بالمفاهيم الحديثة لحقوق الإنسان، والحرية الدينية، وحرية الرأي الشخص في التفحص الحر أو التفكير الحر. لقراءة هذه السورة، ستنتم تقديمه في ضوء العناصر التالية:

1. سورة التوبة والمقاربة الألسنية والسميائية

من الناحية السيميائية الدلالية، إن الآية الخامسة لا يمكن أن تقرأ خارج بنية العلاقات الكائنة بين الضمائر الشخصية، أو خارج إطار التوصيل والتفاهم المشترك الشائع في كل الخطاب القرآني. ففعل التوصيل يشمل ويوجه كل أنواع الفعل الأخرى التي تتداخل بعضها في بعض طبقاً لممارسة هرمية تراتبية ينبغي على التحليل وتحديدتها عن طريق استكشاف وفرز عبارات الوصل والفصل، ومن معالمها:¹⁶

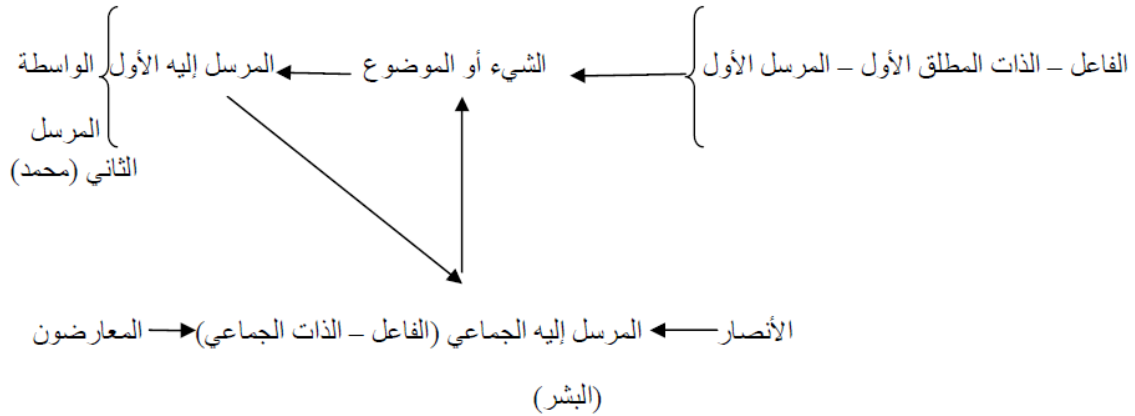
أ. الله تعالى، يتجلى دوره في الفاعل-الذات الأول، الذات المطلقة المتعالية، المرسل الأول.

ب. الرسول عليه الصلاة والسلام، يتجلى دوره في الفاعل-الذات الثاني، مرسل إليه الأول، الواسطة.

ت. البشر (المسلمون والمعارضون) يتجلى دورهم في المرسل إليه الجماعي. إذا ما مزجنا بين البنين التمثيلي القصصي ومخطط التنصيص القانوني، ثم مخطط السرد المتبع فإننا نحصل على التركيبة السيميائية التالية التي تشمل كل النص القرآن:¹⁷

¹⁶ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 94.

¹⁷ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 95.



إنطلاقاً من البنية العائلية، يمثل الله تعالى المركز المحور الأساسي، بوصفه هو الذي يصدر عنه كل شيء في الوجود، وهو الذي تعود إليه كل الأعمال، ويلعب ذلك الدور سواء في علاقته بالرسول، أو بالذين آمنوا به. وأكد أركون على أهمية السردية التمثيلية المشكلة من (الفاعل-الذات) الأول أي الله، و (الفاعل-الذات) الثاني أي محمد، و (الفاعل-الذات) الثالث أي البشر، أو إذا شئنا حزب الحق في مواجهة حزب الخطاء (أي حزب المعارضين الذين يشار إليهم احتقاراً عن طريق ضمير الشخص الثالث: هم، لهم).¹⁸

ويلاحظ أركون أن الوحدات المعنوية (المفردات) لسورة التوبة تتمحور كلها حول مصطلح مركزي هو "التوبة"، مثل: الصلاة، الزكاة، الإيمان، الكفر... إلخ، وبشكل عام أن أسلوب السورة التوبة ومفرداتها تبقى على مستوى الدلالة الحرفية والفهم المباشر، ولا يوجد إلا القليل جداً من المجازات الحية أي من الإبتكارات السيمانتية المعنوية.¹⁹

2. سورة التوبة والمقاربة التاريخية

إن المقاربة التاريخية عند محمد أركون، على الرغم يأتي من الغرب، ولكن ليس من المناسب للتراث الثقافي الغربي فقط. وهذه المقاربة يمكن تطبيقها لكل التاريخ البشرية، بل لا

¹⁸ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 96.

¹⁹ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 96-97.

توجد وسيلة الأخرى لتفسير الوحي إلا التواصل مع السياق التاريخي. والمقصود بمفهوم التاريخية هي محاولة الكشف عن المنشأ التاريخي للنصوص والمفاهيم والتصورات، ما دام أن "لكل شيء تاريخية" محددة فوجب الكشف عنها، من خلال جمع الوثائق والوقائع الحاصلة بالفعل، سواء كانت مكتوبة أو شفوية.²⁰

وبالنسبة قرائته لسورة التوبة، يرى أركون إلى أنها لا ينبغي خلط التاريخية هنا بكل ما كان التفسير التقليدي يدرسه ولا يزال تحت إسم (أسباب النزول)، وصحيح أن علم أسباب النزول ينقل الأسباب المباشرة التي أدت إلى نزول الوحي أو رافقته، ولكنه يتحدث عن وقائع متقطعة وأنية ظرفية لم تستكشف العلاقة بينها وبين المكانة الإلهية للآيات.²¹ وفي ضوء المقاربة التاريخية للنص القرآني القائمة على التزامن، (التزامن دلالات المفاهيم مع المرحلة الزمكانية ونظامها وأطرها المعرفية، فكلما تغير الزمن تغيرت دلالات المفاهيم)، وقدم تعريفاً لمفهوم التوبة مفرقا بين دلالة زمن النزول ودلالته في زمن التأويل. فالدلالة التوبة زمن التأويل هي إستسلام المعارضين دون قيد أو شرط، وإن علائم الإستسلام هي أولا الصلاة والزكاة الشرعية. وعرض الخطاب القرآن هذين العاملين وكأنهما دينيا بشكل الكامل، هذا على الرغم من أنهما يقومان بوظيفة حاسمة من الدمج الإجتماعي والسياسي.²² وأما الدلالات في زمن النزول فهي رجوع إلى الله بعد ارتكاب مخالفة الشرعية وأن يتوبوا تماما.

وكذلك في مفهوم الجهاد، من خلال هذه المقاربة يمكن أن نرى في السنوات العشر التي قضاها النبي في الجهاد في سبيل الله والتضحية سواء بالأرزاق والأموال أو عن طريق الجهد الذي تبذله الروح في الفهم والخيال الخلاق، ويرى أركون إن كل ذلك قد وجد ترجمته المثالية والتعبيرية النموذجية في القرآن. ثم استبطن هذا النموذج تماما بانخراط المسلمين بحسب

²⁰ محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة: هاشم صالح، (بيروت: دار الساقي)، ص 53.

²¹ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 91.

²² محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 98.

التاريخ في القتال في سبيل الله. وبواسطة هذا المثال، يرى أركون إستبطن هذا النموذج تماما وتمثل من قبل الفاعلين الاجتماعيين، أي البشر المنخرطين في أوضاع إجتماعية وسياسية.²³

3. سورة التوبة والمقاربة الاجتماعية

واتخذت القراءة الأركونية لسورة التوبة وبالتحديد الآية الخامسة منها بوصفها وحدة سردية صغيرة مندمجة في وحدة المركزية العامة، المتمثلة في حكاية الميثاق أو العهد الأولى الذي ربط بين الله تعالى وآدم عليه السلام، ثم فيما بعد، بين الله تعالى والجماعة المؤمنة الجديدة تحت قيادة الرسول عليه الصلاة والسلام.²⁴ ومن هذه المقاربة سيعمد أركون إلى عكس علاقة الذات بالغير، بوصفها من آخر ما نزل من نص القرآن أو تمثل النسخة الأخيرة للعلاقة التي ارتضاها الله للمسلم، ومن تلك العلاقة تقوم على التحذير من قيمة الظلم، في مقابل الحث على قيمة العدل. ورد الظلم في القرآن أكثر في مقابل العدل، والقصد من ذلك هو المبالغة في النهي عن الظلم، ولا يتم اللجوء إلى قيمة الظلم كما يؤكد أركون إلا في حالات استثنائية وتبقى القاعدة العامة أنه محرم تحريماً كلياً.²⁵

والفهم الأركوني لعلاقة الذات بالغير ينتقل الإنسان من تحكيم الواقع والمخيال الاجتماعي السائد إلى تحكيم مبادئ النص المؤسس/ القرآن؛ ذلك أنه قد سادت جملة تصورات أصبحت من المسلمات الثابتة، تصور أن علاقة الذات/المسلم بالغير/ المسيحي وغيره قائمة على القتل والإبادة والإقصاء، وأركون من خلال مجموعة تصورات، استطاع تجاوز ما هو سائد في الفكر الغربي، إلى رصد تلك العلاقة في ضوء النصوص القرآن. وأية السيف كما يؤكد أركون، جاءت مكرسة لفكر الجهاد من أجل نشر وترسيخ الحقيقة الجديدة الخالدة الموحى بها في النص القرآني على يد رسول صلى الله عليه وسلم. وهي تمثل بذروة العنف الموظف لخدمة حقوق الله تعالى، الذي

²³ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 105.

²⁴ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 95.

²⁵ محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 99.

يقدم نفسه في النص القرآني كحليف ومناصر للجماعة المختارة بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، في إطار علاقة العهد بين الله والإنسان، فالإنسان يعبد ويطيع، والله يفيض بالنعيم. وبالتالي، أضحي العنف في خدمة المطلق/ الله، ويتعين أكثر عندما تكون الحقيقة المطلقة الموحى بها مهددة بالخطر أو الرفض.

ويقول أركون أن العلاقة السورة التوبة هو حقوق الإنسان، وفضلا أن السورة التوبة تشير إلى مكانة الشخص البشري غير مسلم؛ سواء كان معارضا أو متحالفا "بهم، لهم، أولئك..." دون تعليل، وهذا يعني من منظور هذه القراءة الأركونية: تحقير الشخص البشري وعدم تمتيعه بالكرامة الإنسانية، والدالة على ذلك: إهانة، نجاسة، عقوبة، وهذا يمثل عنفا رمزيا لا يحتمل، فضلا عن عدم الإعراف والتقدير الذاتي إلا عبر تقديم الصلاة والزكاة (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة...) رغم أن الصلاة والزكاة إن كانتا يدرجان ضمن ديني، إلا أن لهما وظيفة من حيث الدمج السياسي والاجتماعي للفرد داخل منظومة الجماعة الجديدة.

انطلاقا من خلال تلك المقاربات، يعتبر أركون أن السورة التوبة خصوصا آية السيف، من النسخة الأخيرة والنهائية من الدين الجديد الذي ارتضاه الله تعالى لكل البشر إلى الأبد، ويقول الأركون: ستسجننا داخل الحروب الدينية إلى الأبد، إذا لم نعد تأويلها وربطها بسياق تاريخي، وإذا اعتبرنا أنها تنطبق على كل العصور والأزمان فهذا يعني أنها لا حل ولا خلاص، وسوف نذبح بعضنا البعض إلى قيام الساعة.²⁶

الإختتام

اقترح أركون مصطلح الإسلاميات التطبيقية كنموذج في الدراسة الأديان، ويستخدم هذا النموذج في إطار العلوم الإنسانية التي تشمل الألسنيات، ونقد التاريخي، وعلم النفس، وعلم الاجتماع. وعمل أركون إلى التفكيك التحليلي النص، ويرى أركون على أن النصوص المقدس والتراث الإسلامي لا يمكن التخلص من العناصر التاريخية. والإسلاميات التطبيقية هي ممارسة

²⁶ راجع محمد أركون، الفكر الإسلامي...، ص 99-100.

العلمية بتعدد التخصصات. ومن خلال كتابه، الفكر الإسلامي؛ قراءة علمية، عرض أركون كيفية تطبيق العلوم الإنسانية والاجتماعية على دراسة الإسلامية، وتركيزه بقراءة سورة التوبة كالمثال ولهجتها والموضوعات التي تطرقت إليها والجدل المباشر مع عرب الصحراء وأحكامها القاطعة ودعواتها للجهاد، وقدم قراءاته لأية التوبة في ضوء العناصر الألسنية السميائية، والتاريخية، والاجتماعية.

ويلحظ على محمد أركون في قراءته الجديدة لسورة التوبة من ضوء المقاربة الألسنية والسميائية هي أن الوحدات المعنوية (المفردات) لسورة التوبة تتمحور كلها حول مصطلح مركزي هو "التوبة"، مثل: الصلاة، الزكاة، الإيمان، الكفر. وبشكل عام أن أسلوب السورة التوبة ومفرداتها تبقى على مستوى الدلالة الحرفية والفهم المباشر، ولا يوجد إلا القليل جدا من المجازات الحية أي من الابتكارات السيمانتيكية المعنوية. ومن ضوء المقاربة التاريخية، أن النصوص القرآنية القائمة على التزامن، وقدم تعريفا لمفهوم التوبة مفرقا بين دلالة زمن النزول ودلالته في زمن التأويل. فالدلالة التوبة زمن التأويل هي إستسلام المعارضين دون قيد أو شرط، وإن علائم الإستسلام هي أولا الصلاة والزكاة الشرعية. وأما من ضوء المقاربة الاجتماعية أن العلاقة السورة التوبة هو حقوق الإنسان، وفضلا أن السورة التوبة تشير إلى مكانة الشخص البشري غير مسلم؛ سواء كان معارضا أو متحالفا. وانطلاقا من تلك المقاربات، يعتبر أركون أن السورة التوبة خصوصا آية السيف، من النسخة الأخيرة والنهائية من الدين الجديد الذي ارتضاه الله تعالى لكل البشر إلى الأبد.

قائمة المراجع

عمر حسن القيام، أدبية النص القرآني؛ بحث في نظرية التفسير، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011.

محمد أركون، الفكر الإسلامي؛ قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1996.

---، تريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1986.

---، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الساقى.

نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.

هاشم صالح، مدخل إلى فكر محمد أركون نحو أركيولوجيا للفكر الإسلامي؛ منهجيات علوم الإنسان والمجتمع والمصطلحات مطبقة على دراسة الإسلام.

مدخل-إلى-فكر-محمد-أركون-نحو-أركيولوجيا accessed on 8 August 2018 at

<http://www.nizwa.com/>

Faturrahman Muhtar, *Pemikiran Islam Kontemporer Mohammad Arkoun*, Jurnal Islamica, Vol. 2, 2007.

Johan Meuleman, *Tradisi, Kemodernan dan Metamodernisme; Memperbincangkan Pemikiran Mohammed Arkoun*, Yogyakarta: LKiS, 1996.

Kholili Hasib, *Studi Agama Model Islamologi Terapan Mohammed Arkoun*, Jurnal Tsaqafah, Vol. 10, 2014.

Mohammed Arkoun, *Nalar Islami dan Nalar Modern; Berbagai Tantangan dan Jalan Baru*, terj. Johan Meuleman, Jakarta: INIS, 1994.

Siti Rohmah Soekarba, *The Critique of Arab Thought: Mohammed Arkoun's Decontruction Methode*, Sosial Humaniora, Vol. 10, 2006.

<http://www.ibn-rushd.org/arabic/CV-A>